الفصل الثالث

التربية العبادية وفوائدها

المبحث الأول: تربية الأطفال على حب الصلاة

إن أبناءنا هم رياحين الحياة وفلذات الأكباد فقد أوصى الله تعالى الأبوين بهم خيرًا، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بحسن رعايتهم وتأديبهم ورحمتهم فقال صلى الله عليه وسلم مبينًا من هو خير الناس: «خيركم خيركم لأهله»، وأعظم ألوان الخير لأفراد الأسرة حسن الرعاية والتأديب، وإنَّ أعظم صور تأديب الأبناء تعليمهم الصلاة وغرس محبتها فى قلوبهم؛ ليقوموا بحقوقها خير قيام، فهى الشعيرة العظيمة التى سماها الرسول صلى الله عليه وسلم نورًا، وجعلها للدين عمادًا، وهى الصلة التى تربط بين العبد وخالقه فى اليوم الواحد خمس مرات، هى محطات للخلوة بالإله العظيم، ومناجاته وذكره وتعظيمه سبحانه، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مناجاة العبد لربه ورد المولى عز وجل عليه فى الصلاة: «قَالَ اللهُ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، قَالَ اللهُ تَعَالَى: (حَمِدَنِى عَبْدِى) وَإِذَا قَالَ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، قَالَ اللهُ تَعَالَى: (أَثْنَى عَلَىَّ عَبْدِى)، وَإِذَا قَالَ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، قَالَ: (مَجَّدَنِى عَبْدِى)، فَإِذَا قَالَ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). قَالَ: (هَذَا بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى، وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ). فَإِذَا قَالَ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)، قَالَ: (هَذَا لِعَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ)». (رواه مسلم).

والصلاة هى الحصن الحصين من الذنوب والمعاصى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، [العنكبوت: ٤٥].

وقد نبه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الأبوين إلى ضرورة ربط صلة الأبناء بالله تعالى فى سن الطفولة المبكرة، عند سن السابعة؛ لأن ذلك أدعى أن يشب الأولاد على محبة الله والحرص على الصلاة. وإدراك أسرارها وفضائلها الكثيرة فقال صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِى الْمَضَاجِعِ» (رواه أبو داود، وقال الشيخ الألبانى: حسن صحيح).

وهناك طرق وخطوات عملية قد تساعد على تحبيب الصغار (بنين وبنات) فى الصلاة والحرص عليها وهى:

أ- التربية الإيمانية هى الأساس الأول: فلا يتوقع الأبوان التزامًا تامًّا من الأبناء بأداء الصلوات وقلوبهم فارغة من معانى العقيدة؛ لأن الطفل فى مراحله المبكرة لا يستطيع إدراك الغيبيات فيكون دور الأبوين هنا تقريب معانى العقيدة كحقيقة الله الواحد ومعنى النبوة، وحقيقة اليوم الآخر، ونسبة الدنيا إلى الآخرة، ولنا فى ذلك القدوة الحسنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اعتنى فى السنوات الأولى من الدعوة بتثبيت عقيدة الإيمان بالله الواحد فى نفوس أصحابه حتى إذا استقرت، لم يجد أصحابه غضاضة فى طاعة أوامر الله، والعمل بأحكام الشريعة.

فيعلم الطفل منذ نعومة أظفاره أنَّ الله هو خالق كل الناس والأشياء المحيطة به، وأنه هو الذى يعطى للإنسان كل النعم فهو الرزاق لخلقه والحريص على هدايتهم للخير وهو يحب الأخيار من الناس ويبغض الأشرار لذلك بعث للأخيار رجالًا صالحين يعلمونهم ما فيه صلاح حياتهم ووعد من اتبعهم ببساتين وقصور نعيم لا ينفذ، بينما توعد من يعصيهم بعذاب شديد، هذه صور تقريبية لمعانى العقيدة يسهل على الطفل فهمها.

ب- أن يقدم الأبوان القدوة الصالحة لأبنائهم: والحرص على الصلاة فى أول الوقت، والعناية بالسنن والنوافل بعد الفرائض؛ لأنَّ الأطفال مولعون فى الصغر

بتقليد الآباء، إذن فليستغل الآباء هذه الملكة فى غرس محبة الصلاة لدى أبنائهم، فإذا اعتاد الأبناء رؤية الآباء يسارعون إلى ترك أى عمل على أهميته والمسارعة إليها بعد كل أذان فسترسخ فى قلوبهم الصغيرة أهمية الصلاة وإدراك فضلها.

ويستحب كذلك أن ترتبط مواعيد الأسرة بمواقيت الصلاة كالخروج لسفر، أو زيارة قريب فيقول الأب مثلا سنزور جدتكم بعد صلاة العصر إن شاء الله، فترتبط حياة الطفل فيما بعد بالصلاة حتى فى شقها الدنيوى.

فإذا تراخى الأبوان أو فرطا فى المحافظة على الصلاة فلا مجال للوم الأبناء إذا تركوا الصلاة أو أعرضوا عنها فيما بعد، ويتعلق كذلك بمجال القدوة تعليم الأبناء كيفية الوضوء والصلاة بأسلوب عملى إما بأدائها وهم ينظرون أو بمراقبتهم فى أثناء الوضوء والصلاة وتعديل بعض أخطائهم.

ج- **القصص والمواعظ**: يجب على الأبوين الاستعانة بالقصص والمواعظ المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أو قصص الصالحين؛ ليدرك الطفل فضل الصلاة وسر تعلق الكبار بها؛ لأن استغلال الخطاب المباشر قد لا يستوعبه الطفل فى المراحل المبكرة فقد يعتبر الصلاة عبًا ثقيلًا؛ لأنها تمنعه اللعب، أو باعتبارها من شئون الكبار التى لا علاقة له بها، لكن عندما نرسم فى مخيلته صورة المؤمنين الصالحين الذين ارتبطت قلوبهم بالله فوجدوا فى الصلاة قرة عين لمناجاة الخالق العظيم فسيصل الطفل بفطرته ونقاء قلبه إلى محبتهم ومحبة الصلاة، وجدير أن يعلم الطفل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تفطرت قدماه شكرًا لله على نعمه، وأن من الصالحين رجلًا قطعت إحدى أطرافه المريضة وهو فى صلاة ولم يكد يشعر بما حصل له حتى أتم صلاته، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام إلى الصلاة سمع لصدره أزيز من البكاء بين يدى الله.

د- **مصاحبة الأطفال إلى المسجد**؛ لأن بيوت الله هى مواطن إنشاء الرجال العظماء المتشبعين بمحبة الله والحرص على طاعته حتى تتعلق قلوبهم الصغيرة

بمحبة بيوت الله، وحيث سيجدون دروس العلم والإرشاد والرفقة الصالحة ويتربون على معانى الإيمان كلما كبرت أعمارهم وازداد وعيهم، كما أنّ فى زيارة المساجد تسلية للأطفال لأن أكثر ما يسعدهم هو الخروج مع الآباء ومرافقتهم إلى الأماكن العامة ومشاركتهم بعض اهتماماتهم.

ولدعم دور المسجد فليجتهد الأبوان فى تنظيم دروس تعليمية للأبناء تناسب مستوياتهم وتساهم فى إدراكهم لفضل الصلاة ومحبتها، والحرص على أدائها، وكلما كبر الأبناء احتاجوا لوجود مكتبة إسلامية تفيدهم فى توسيع معارفهم وتثبيت أهمية العبادة فى قلوبهم.

هـ- الاعتماد على مكافأة الأبناء كلما حافظوا على صلواتهم:

إنَّ كل طفل يكتسب معالم شخصيته وثقته بنفسه أولًا من قبل والديه فكل طفل يحتاج إلى التحفيز والمكافأة على كل عمل إيجابى يقوم به -وهو أمر أساسى فى موضوع التربية عمومًا- فكيف إذا تعلق الأمر بالصلاة.

وطرق مكافأة الطفل تكون كالتالى:

- بالثناء عليه أمام أفراد العائلة، أو تخصيص هدية يحبها الطفل؛ لأن قيمة الهدية ستجعله يدرك قيمة الصلاة وأهميتها، علمًا بأن علماء التربية ينصحون بالتدرج مع الطفل فى أداء الصلاة فيكفى فى اليوم الأول المحافظة على صلاة واحدة وفى اليوم الثانى على صلاتين، إلى أن يصل إلى مستوى المحافظة على الصلوات الخمس بنجاح.

- وأخيرًا إن مما يكلل تجربة الآباء بالنجاح فى تربية الأبناء عمومًا، أو غرس محبة الصلاة والمحافظة عليها فى قلوبهم نجاح الآباء فى الوصول إلى قلوب الأبناء بالتعبير لهم عن معانى المحبة الدائمة لهم واستغلال جميع الأساليب المناسبة لذلك بتخصيص الوقت الكافى لهم ومشاركتهم اهتماماتهم وألعابهم والرفق والرحمة بهم؛

لأن هذه المحبة هى التى ستجعل الأبناء طوعًا فى يد الآباء كصفحات بيضاء نقية يسطرون عليها معانى الإيمان والخير والصفاء والعبودية التامة لله تعالى.

طريق ترغيب الأطفال فى الصلاة:

منذ البداية يجب أن يكون هناك اتفاق بين الوالدين -أو مَن يقوم برعاية الطفل- على سياسة واضحة ومحددة وثابتة، حتى لا يحدث تشتت للطفل، وبالتالى ضياع كل الجهود المبذولة هباء، فلا تكافئه الأم مثلًا على صلاته فيعود الأب بهدية أكبر مما أعطته أمه، ويعطيها له دون أن يفعل شيئًا يستحق عليه المكافأة، فذلك يجعل المكافأة التى أخذها على الصلاة صغيرة فى عينيه أو بلا قيمة؛ أو أن تقوم الأم بمعاقبته على تقصيره، فيأتى الأب ويسترضيه بشتى الوسائل خشية عليه.

وفى حالة مكافأته يجب أن تكون المكافأة سريعة حتى يشعر الطفل بأن هناك نتيجة لأفعاله؛ لأنَّ الطفل ينسى بسرعة، فإذا أدى الصلوات الخمس مثلًا فى يوم ما، تكون المكافأة بعد صلاة العشاء مباشرة.

المبحث الثانى: المسجد وأثره فى تربية الطفل

أ - أهمية المسجد فى تربية الطفل:

يرتبط المسجد بالصلاة دائمًا؛ لأنها تقام فيه، وليس هذا دور المسجد فقط؛ لأن المسجد أهم جامعة عرفتها البشرية، منذ قباء، الذى بناه الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومرورًا بالمساجد التاريخية، أثبت المسجد أنه المكان الطبيعى القادر على صناعة مخرجات إسلامية ساهمت فى حمل لواء الدعوة عبر كل هذه القرون، وحتى نعيد للمسجد رسالته ودوره ليعود لنا بأمثال أطفال الصحابة لا بد وأن نمهد الطريق للأبناء للوصول إليه والتعلق به وأن نغرس فى نفوسهم معنى الشاب ذى القلب المعلق بالمسجد ليكون أبناؤنا ممن يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.

وصلة الأطفال بالمسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعهد خلفائه الراشدين، كانت صلة قوية مقصودة، إذ إن النبى صلى الله عليه وسلم يدخل بالصبيان معه، كما فى قصة الحسن أو الحسين الذى جلس على رقبته وهو ساجد، وكان الصبيان يدخلون المسجد بأنفسهم فيقرهم، بل ويقطع حديثه من أجل حملهم شفقة بهم، وكان النساء يدخلن بأطفالهن فيصلين معه، ويسمع بكاء الأطفال فيخفف الصلاة من أجل ذلك، وكان يأمر الأئمة أن يخففوا؛ لأن وراءهم الكبير والصغير والضعيف، وكان يمسح على خد الصبى الذى يصلى معه، وكان صغار الصحابة يروون حوادث، وقعت فى المسجد، تدل على حضورهم ومشاهدتهم لها.

إن تردد الصغير على المسجد وتنشئته على ذلك، تجعله يألفه ويرتبط به، وارتباطه

بالمسجد ليكون من رواده مصلحة عظمى، لا يجوز التفريط فيها، بحجة مفسدة تلويث المسجد، أو التشويش على المصلين، والمصلحة العظمى تقدم على المفسدة التى هى أخف، لا سيما وقد قدمت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمفسدة المتوقعة من حضور الصغار المسجد، يمكن التحرز منها أو التخفيف، كتلبيسهم بثياب تمنع خروج فضلاتهم فى المسجد، وتهيئة من يقوم بتنظيف ما قد يحدث منهم بعد التحرز من وقوعه، كما هو الحال اليوم فى أعظم مسجدين فى الأرض، وهما المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ب - تعليم الأطفال حب المساجد:

إذا أراد المسلمون أن يتربى أبناؤهم فى المسجد تربية صالحة، وأن يغرس فى نفوسهم الإيمان الذى يقيهم الانحراف، وإذا أرادوا أن يعالجوا انحراف من انحرف منهم فى المسجد، إذا أرادوا ذلك، فلا بد أن يوجدوا الوسائل الشرعية التى تحببهم فى المسجد، وتجعلهم يرتادونه، وأصول تلك الوسائل المشروعة مدونة فى كتب السنة وكتب التاريخ، فما على المسلمين إلا أن يبحثوا عنها ويطبقوها فى المسجد، بما يناسب العصر الذى يعيشون فيه، وبالوسائل المباحة المشابهة لتلك الوسائل التى وجدت فى عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهناك وسائل معينة على تعليم الأطفال حب المسجد والتعلق به؛ منها:

- أن يرى الصغير إجابة المجتمع نداء المؤذن سريعة ومستمرة، بحيث يشاهد أباه وإخوانه الكبار، وأفراد أسرته، يستعدون للمسجد بالوضوء ولبس ثيابهم قبل الأذان، فإذا بدأ المؤذن فى أذانه، انطلق هؤلاء فورًا إلى المسجد، إن هذا المنظر عندما يتكرر على عين الصغير يؤثر فيه تأثيرًا قويًّا، حتى إنه إذا رأى والده أو أحد إخوانه الكبار يتأخر عن القيام إلى المسجد نبهه، بأن يقول له: أذن، فإذا أصبح قادرًا على المشى تعلق بأبيه، ليخرج معه لرؤية ما يحدث فى المسجد، وهكذا حتى يصبح ذلك عادة عنده من صغره، بخلاف ما إذا رأى بلادة فى أفراد الأسرة، يسمعون صوت

المؤذن فلا يتحركون، فإنَّه هو يألف صوت المؤذن ولا يتحرك له، وهكذا عندما يكون فى المدرسة، أو الروضة أو السوق، أو أى مكان فى المجتمع، كالمكاتب الحكومية، إذا رأى الناس يسارعون لإجابة النداء، تأثر بذلك المنظر، وإن رآهم لا يبالون، تأثر بعدم المبالاة.

وإن هذا المعنى ليرى واضحًا فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾، [النور: ٣٦، ٣٧]، فالمجتمع الإسلامى لا يؤخره أى شىء من أمور الدنيا، عن إجابة الداعى إلى الصلاة والفلاح، وهو بذلك يكون مجتمعًا إسلاميًّا يقتفى صغارُه كبارَه.

- أن يسمع الصغير من أبيه وأفراد أسرته، وبخاصة أمه، فضائل المساجد، والثناء على المصلين فيها، وما أعد الله لهم من الثواب وذم المتخلفين عن صلاة الجماعة، وأنّهم عرضة للنفاق، فإنّه إذا سمع ذلك، مع ما يرى من الإسراع إلى المسجد من أسرته وجيرانه ومجتمعه كله، يحب المسجد ويحب المترددين إليه، ويكره ما يشغل عن الصلاة، كما يكره المتخلفين عن الصلاة.

- أن يصطحبه كبار أسرته معهم إلى المسجد، كأبيه وأمه وإخوانه الكبار، حتى يألف المصلين، ولا يستوحش منهم ومن كثرتهم غير المعتادة فى منزله، وإذا كان بعض أفراد الأسرة يحضر حلقات علمية فى المسجد، أمكنه أن يحضره معه كذلك، لترتسم فى ذهنه حلقات المسجد فيرغب فى حضورها.

- أن يعامله أهله، وإمام المسجد، والمؤذن والعاملون فى المسجد، والمصلون معاملة حسنة ويلاطفوه، ولا يغلظوا له القول، أو يصوبوا أنظارهم إليه، إذا أنكروا شيئًا من تصرفاته فى المسجد، فإن ملاطفته والتبسم فى وجهه واللين معه، يجعله يألف المصلين ويحب أن يتردد معهم إلى المسجد، بخلاف ما إذا عاملوه بعنف، فإنه

يحب أن يلجأ إلى منزله الذى وجد فيه حرية أكثر، ولا يرغب فى حضور المسجد الذى تطارده فيه النظرات، وتقذفه فيه الألسن.

ومن المعاملة الحسنة التى يتأثر بها الناس من إمام المسجد، وبخاصة الصغار، هو أن يكون الإمام خفيف الروح طلق الوجه، يمازح الصغار والكبار فى خارج المسجد، المزاح الحق المباح، ليجلب قلوبهم إليه فيحبونه، بخلاف الرجل العبوس الذى لا ترى أسنانه، إلا إذا كشر فى وجوه الناس مخاصمًا مغاضبًا، فإنّ الناس لا يرغبون فى مقابلته، لا فى المسجد ولا فى خارجه، ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة فى ذلك مع هيبته واحترامه، وهذا أنس بن مالك رضى الله عنه خادمه الصغير، يروى عنه شيئًا من ممازحاته اللطيفة معه ومع غيره.

- أن يحمل ولى الصغير صغيرَه، على الصلاة إذا ميز، فيأمره بها أمرًا ويحثه عليها حثًّا، ويحضره معه إلى المسجد بالأمر إذا بلغ السابعة من عمره، ليتعود ذلك قبل البلوغ بوقت مبكر، فيستمر معه فى الأمر ثلاث سنوات، والغالب أنّه إذا واظب على أمره هذه المدة، يستجيب ويألف حضور الصلاة فى المسجد، فإذا بلغ عشر سنوات ولم يستجب للأمر، فإنه عندئذ يؤدبه بالضرب الذى لا يقصد به كسر العظم ولا شق الجلد، وإنّما هو ضرب خفيف للتخويف، وليس معنى هذا أنّ الصلاة أصبحت واجبة على الصغير قبل بلوغه، فقد ورد ما يدل على عدم وجوب شىء عليه من العبادة حتى يبلغ.

- أن يعنى بالصغير فى خارج المسجد، فيمرن على أداء بعض النوافل فى المنزل، لما فى ذلك من تقوية عزيمته، ولكن لا يكره على ذلك، وإنما يشجع، كما روى ابن عباس، وهو من صغار الصحابة رضى الله عنهم، قال: (بت عند خالتى ميمونة، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل، فقمت عن يساره، فأخذ بذؤابتى فجعلنى عن يمينه). (البخارى (٥/ ٢٢١٣)).

وروى أنس-أيضًا- رضى الله عنه قال: (صليت أنا ويتيم فى بيتنا خلف رسول

الله صلى الله عليه وسلم، وأم سليم خلفنا). (مسلم، وهو فى جامع الأصول (٥/ ٦٠٤)). وهذا فيه مشروعية تمرين الآباء أبناءهم على قيام الليل معهم، بلا تضييق عليهم ولا حرج.

- أن تعقد فى المسجد ندوات لشعراء المسلمين، الذين سخروا شعرهم للدعوة إلى الله والذب عن دينه، لتحميس الشباب ودفعهم إلى الجهاد فى سبيل الله، وأن تنظم الأناشيد الخفيفة ذات المعانى الجميلة، التى تتضمن حب الله ورسوله وحب دين الإسلام وعباد الله الصالحين، وتلقن للصغار حتى يحفظوها ثم ينشدوها فى المسجد أمام زملائهم.

إن الأناشيد من أهم المرغبات للأحداث لحضور المكان الذى تنشد فيه. وإنشاد الشعر الذى فيه دعوة إلى الله، أو المباح الذى لا يتعارض مع الآداب الإسلامية، مأذون فيه شرعًا فى المسجد وخارج المسجد.

وقد تشدد من يجهلون هذه المشروعية فى هذا العصر، أو اجتهدوا فى ذلك اجتهادا مخالفًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكرهوا إنشاد الشعر فى خارج المسجد فما بالك بالمسجد؟ ولكن جهل الجاهل أو اجتهاد المخطئ، لا يجوز أن يغير من شرع الله شيئًا.

المبحث الثالث: تعليم الأطفال ذكر الله وقراءة القرآن

إن تعليم الطفل وتعويده على قراءة القرآن وأذكار الصباح والمساء وأذكار النوم والطعام والشراب وغيرها من الأذكار، وسماع الطفل، وحفظه وممارسته لها، فيه ربط عظيم ووثيق لروحه بالله عز وجل، فتنمو روحه وتسلم فطرته من الانحراف، وإن الطفل إذا أحس أنَّ المسلم له أذكار معينة بعضها خاص بالزمان وبعضها خاص بالمكان وهكذا، وقد أدرك هذا الطفل حقيقة العلاقة بربه وأنّها دائمة مستمرة مما تعوده من والديه، وإذا تربى الطفل على ذلك كان صالحًا بإذن الله، وكان له أثر على أقرانه ومن لهم به صلة.

أهميّة تعليم الأطفال القرآن الكريم:

إنَّ فى القرءان العظيم والسنة النبوية المشرفة وسير سلف هذه الأمة كمًّا كبيرًا من المبادئ والقيم، والمعانى والآداب، والأساليب التربوية التى يجب أن يُرَبَّى عليها الصغير، ويشرب قلبه الأخذ بها منذ نعومة أظفاره.

وإنَّ من أعظم ما يجب صرف الهمم إليه فى تربية الأبناء (تعليمهم كتاب الله تعالى)؛ لأنَّه مأدبة الله، وهو حبل الله عز وجل، والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه ولا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضى عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، فإنَّ الله عز وجل يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات.

لذلك ينبغى لولى الصغير أن يوجهه إلى تعلم كتاب الله تعالى منذ صغره، لأنَّه به يتعلم توحيد ربّه، ويأنس بكلامه، ويسرى أثره فى قلبه وجوارحه، وينشأ نشأةً صالحة على هذا.

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على قراءة القرآن لما له من فضل عظيم، فعن أَبى أُمَامَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «أقرءُوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأتِى يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ»، (رواه مسلم)، وعن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، يقولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِالقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الذينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فى الدُّنْيَا تَقْدُمُه سورَةُ البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»، (رواه مسلم).

وعن عثمان بن عفان، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، (رواه البخارى).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّة، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله، يَتْلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُم، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَة، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَة، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلاَئِكَة، وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَه، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه»، (رواه مسلم).

ويقول ابن مسعود رضى الله عنه: (من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين)، وعنه أيضًا قال: (لا يضر الرجل ألا يسأل عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم).

وقال الضحاك بن قيس: (يا أيها الناس، علموا أولادكم وأهاليكم القرآن، فإنه من كَتَبَ الله عز وجل له من مسلم أن يدخل الجنة إلا قيل له: اقرأ وارتق فى درج الجنة حتى ينتهى إلى علمه من القرآن).

وقال الحافظ السيوطى: (تعليمُ الصبيانِ القرآن أصلٌ من أصول الإسلام،

فينشئون على الفطرة، ويسبق إلى قلوبِهم أنوارُ الحكمة قبل تمكن الأهواء منها، وسوادها بأكدار المعصية والضلال).

وقال ابن خلدون: (تعليمُ الولدان للقرآن شعارٌ من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم، لِما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده، بسبب آيات القرآن، ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصلَ التعليمِ الذى بُنى عليه ما يُحَصَّلُ بَعْدُ من الملكات).

إنّكَ أيُّها المربى الكريم، كلَّما أرسلت أبناءك لحفظ كتاب الله تعالى، فإنَّك لا ترسلهم إلى مسجد، أو مقرٍّ يحفظون فيه القرآن فقط، وإنّما ترسلهم إلى مسجدٍ، ومقرٍّ تحفيظٍ، وروضةٍ من رياض الجنَّة، روضةٍ ليس فيها حظ للشيطان، روضةٍ تُحفَظُ فيها فِلْذَاتُ أكبادنا، روضةٍ فيها روح وريحان، وربٌّ غير غضبان، روضةٍ يُنَزِّلُ اللهُ تعالى على أبنائك فيها سكينَتَه، وتغشاهم فيها رحمتُه، وتحفهم فيها ملائكتُه، ويذكر اللهُ أبناءك فيمن عنده من الملائكة الكرام، ويباهى بهم حملة عرشه عليهم السلام.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَبْشِرُواْ! فَإِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ الله، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيْكُم، فَتَمَسَّكُواْ بِه، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَهْلَكُواْ، وَلَنْ تَضِلُّواْ بَعْدَهُ اَبَدًا» (قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن على شرط مسلم).

فهذه بشرى لكم أيها الآباء والأمهات يا من تخشون على مستقبل أبنائكم، يا من تسهرون فى التفكير والتخطيط لهم! هذا الله تعالى يضمنُ لكم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، أنَّ كتاب الله تعالى حبلُ الله المتين الذى من تمسك به نجى، وَأَمِنَ من الهلاك، وعاش حياةً طيبة، وكان مآلُهُ فى الآخرة مع الفائزين.

أمَّا إذا جاء الآباء والأمهات رَبَّهُم يوم القيامة، وكان ابنهم ممن عَلَّمُوه القرءان الكريم، فيبشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول: «وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى

صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِى؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِى؟ فَيَقُولُ مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ، الَّذِى أَظْمَأْتُكَ فِى الْهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ، لاَ يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولاَنِ: بِمَ كُسِينَا هَذِهِ؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِى دَرَجَةِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِى صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ هَذًّا كَانَ أَوْ تَرْتِيلًا» (مسند الإمام أحمد).

المبحث الرابع: فريضة الحجاب

إن الحجاب هو أحد أهم القضايا الإسلامية، وعلى الرغم من ذلك فإن حاله بين المسلمين اليوم يدعو للحسرة، والاستغاثة بمدبر الأمور؛ فقد بدأت نسبة لا بأس بها ممن يرتدين الحجاب فى التراجع التدريجى عنه، ومسخه بشكل يُفقده الهدف منه، فتارة يمسخ بالموضة بلبس الملابس الضيقة، وتارة يقولون أهم شىء هو تغطية الرأس، ولا يبالون بما دون ذلك، ولا يعلمون أنّ الحجاب وشروطه يشمل كل الجسد؛ ولعل ذلك يرجع إلى أسباب عديدة، منها المشكلات النفسية الناتجة عن التفكك الأُسَرى، أو انشغال الوالدين، أو ضعف الإيمان، أو قلة التوكل على الله عز وجل؛ ومنها الانقياد لشياطين الإنس والجن، أو الاكتفاء بالحجاب باعتباره غاية المنتهى فى طاعة المرأة لربها.

أما الأجيال الجديدة القادمة، فيمكننا أن نتدارك أمرها بتعليمها حب الحجاب منذ الصغر، فتنشأ الفتاة وهى تحلم بيوم بلوغها سن التكليف لتتشرف بارتداء حجابها، إرضاءً لربها، واعتزازًا بعفتها وحيائها، فتصير لؤلؤة مكنونة وجوهرة مصونة كما أراد لها الله سبحانه.

أ - تعريف الحجاب:

الحجاب هو ما يحجب مفاتن المرأة وعوراتها، التى تتمثل فى كل جسدها، أو ما عدا الوجه والكفين، وفيه خلاف بين العلماء، أى أنَّ العلماء على اختلاف فى تغطية

الوجه والكفين أو إظهارهما على مذاهب، ليس هذا هنا هو مجال البسط فيها، فمنهم من قال: إن النقاب هو المقصود به الحجاب، ومن قال: إن الحجاب كل الجسد ما عدا الوجه والكفين، لكن على كل حال يجب أن يعرف الجميع أنّ كل جسد المرأة عورة ولا يجوز لها أن تلبس الملابس الضيقة، وتقول: أنا مرتدية الحجاب، وتظن أن الحجاب هو تغطية الرأس فقط، وتلبس (الجيبة الضيقة والبنطلون) وغير ذلك، ولكن فليعلم الجميع أن الحجاب يشمل كل جسد المرأة، ويجب أن يكون الحجاب على مراد الله وعلى مراد رسوله ولا يكون كما تتفق الأهواء، ولكن يجب أن يقدم شرع الله على كل شيء، ولنتعرف على شروط الحجاب فى ستر كل أجزاء الجسم فيما يلى.

ب - شروط الحجاب:

- ألا يصف (أى يكون فضفاضًا واسعًا).
- ألا يشِفّ (أى: لا يُظهر ما وراءه).
- ألا يلفت النظر (أى: ألا يكون به من الحُلى والزينة - أو أن تكون ألوانه -مما يخطف البصر).
- ألا يكون معطَّرًا.
- ألا يشبه ملابس الرجال.
- ألا يُقصد به الشهرة والتباهى به أمام الناس.

فالمقصود من الأمر بالحجاب، إنّما هو ستر زينة المرأة، فلا يعقل حينئذ أن يكون الحجاب نفسه زينة، ولا يعقل أن تعتقد المرأة أن قدميها ليسا بعورة فتظهرهما؛ أو تحاول إخفاءهما بجورب شفاف يزيدهما حُسنًا، وغير ذلك من بدع الموضة التى يوهمون بها البنات؛ لتخرج من بوتقة عفتها وكرامتها، إلى الشقاء الدنيوى والأخروى.

ج - أهمية الحجاب:

١ - أنه أمرٌ صريح من الله ورسوله، وفرض على كل مسلمة، وليس أمر مندوب

أو مستحب، وقد أمر الله سبحانه النساء بالحجاب قائلًا: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾، [النور: ٣١]، وقال أيضًا: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾، [الأحزاب: ٣٣] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾، [الأحزاب: ٥٩]، ولذلك عندما دخل نسوة من بنى تميم على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، عليهن ثياب رقاق قالت: (إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتن غير مؤمنات فتمتعن به).

٢- أن الحجاب طاعة لله عز وجل وطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم، والله تعالى يقول فى كتابه العزيز: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾، [الأحزاب: ٣٦]، فهو بالتالى فرض على كل مسلمة بالغة كما جاء فى القرآن والسنة؛ ويكفى أن نعلم عن ثواب الطائعين لله ما جاء فى القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾، [النساء: ١٣]؛ وقال الله تعالى أيضًا: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾، [النساء: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ ، [النور: ٥٢].

٣ - أنه يميز العفيفة عن غيرها، فتسلَم من المضايقات، وتعرُّض الفساق لها بالأذى؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾، [الأحزاب: ٥٩].

٤- أنَّ الحجاب إيمان وحياء وستر، والله حيى يحب الحياء، ستِّير يحب الستر، قال صلى الله عليه وسلم فى الحياء: «إن لكل دين خُلُقًا، وإن خلق الإسلام الحياء»

(موطَّأ مالك)، وقال: «الحياء من الإيمان» (رواه البخارى)، وقال: «الحياء خيرٌ كله» (رواه مسلم).

٥- أنّ جسد المرأة أمانة أعطاه الله تعالى إياها؛ وما أحراها بأن تحافظ على هذه الأمانة، فلا إيمان لمن لا أمانة له.

٦- أنَّ الحجاب غيرة، فهو يتناسب مع الغيرة التى جُبل عليها الرجل السوى الذى يأنف أن تمتد النظرات الخائنة إلى زوجته وبناته، وكم من حرب نشبت فى الجاهلية والإسلام غيرة على النساء وحمية لحرمتهن، قال على رضى الله عنه: (بلغنى أن نساءكم يزاحمن العلوج -أى: الرجال الكفار من العجم- فى الأسواق، ألا تغارون؟ إنه لا خير فيمن لا يغار)، ولعل فيما حدث عند مقتل عثمان بن عفان -رضى الله عنه- عبرة وعظة لكل ولى أمر من المسلمين، فقد حاولت زوجته (نائلة) أن تدفع عنه الثوار بخلع خمارها، لعلهم إن رأوها استحوا وانصرفوا، ولكن عثمان أبَى وقال: (والله لإن أُقطَّع تقطيعًا أحبَّ إلى من أن يرى رجل منك خصلة شعر واحدة).

- والتبرج عكس الحجاب، فكل ملابس لا ينطبق عليها شروط الحجاب السالفة الذكر، تكون تبرج بالنسبة لمن لبستها، والتبرج معصية لله ورسول صلى الله عليه وسلم، ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئًا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى».

- والتبرج يجلب اللعن والطرد من رحمة الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيكون فى آخر أمتى نساء كاسيات عاريات، على رءوسهن كأسنمة البخت، العنوهن فإنهن ملعونات».

- والتبرج من صفات أهل النار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات .. » الحديث.

- والتبرج سواد وظلمة يوم القيامة، رُوى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مثل الرافلة فى الزينة فى غير أهلها، كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها»، يريد أن المتمايلة فى مشيتها وهى تجر ثيابها تأتى يوم القيامة سوداء مظلمة كأنها متسجدة فى ظلمة.

- والتبرج نفاق، قال النبى صلى الله عليه وسلم: «خير نسائكم الودود الولود، المواسية المواتية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات لا يدخلن الجنة إلا مثل الغراب الأعصم»، والغراب الأعصم: هو أحمر المنقار والرجلين، وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من النساء؛ لأن هذا الوصف فى الغربان قليل.

- والتبرج تهتك وفضيحة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة وضعت ثيابها فى غير بيت زوجها، فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل».

د - أهمية تدريب البنات على الحجاب:

- وللحجاب أهمية كبيرة؛ لأن الآباء والأمهات أو المربين سوف يقفون بين يدى الله تعالى ويسألهم عن بناتهم كيف ربينهم ولماذا لم يأمروهن بطاعة الله، يقول صلى الله عليه وسلم: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»، هذا بشكل عام، أما بالنسبة للرجال من أولى الأمر كالزوج والأب والأخ فإذا لم يأمر نساءه بالحجاب ويرغبهن فيه أصبح ديوثًا، (أى: لا يغار على حرمة نسائه)، والديوث لا يدخل الجنة.

- وتأتى أهمية تدريب البنات على الحجاب أيضًا من أن الإسلام يأمر بتدريب الصغار على العبادة قبل التكليف بها أى قبل بلوغهم؛ فالصلاة مثلًا فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بأن ندربهم عليها منذ السابعة، ونضربهم عليها فى العاشرة، وذلك قبل بلوغهم سن التكليف؛ وقد اختص الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة من بين العبادات لكونها عماد الدين، والحجاب -كالصلاة- فريضة على المسلمة، بأمر صريح من الله ورسوله كما تقدم.

- أن البنات لو لم يُحببنه ويقتنعن به منذ الصغر؛ فقد يرتدينه بالإكراه خوفًا من أولى الأمر، مما يؤدى إلى تحايلهن -بعيدًا عن أعين أولى الأمر- بشتى الطرق لمسخه وإخراجه عن وظيفته -كما حدث حين انقسمت المحجبات إلى فئات- أو حتى خلعه، وهذا يتنافى مع ديننا السمح؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، كما أن هذا يتنافى مع تعليمهن تقوى الله فى السر والعلانية.

هـ - كيف ندرب بناتنا على حب الحجاب:

- إن أولى وأهم الخطوات هى التى يقوم بها الرجل حين يختار لبناته أُمًّا ذات خُلق ودين تكون قدوة متحركة؛ فإذا تربت البنت فى أحضان هذه الأم كان الحجاب أمراً بديهيًّا بالنسبة لها، وقضية لا جدال فيها، وأمنية غالية ترنو لتحقيقها.

- على الوالدين أن يبنيا بيتهما على أساس من الود، والاحترام، والتفاهم حتى ينشأ الأبناء فى جو هادئ مستقر؛ مما يبعدهم عن المشكلات النفسية التى تؤدى بهم إلى التنفيس عما يحسون به، بالتمرد والعصيان ومخالفة الأهل.

- كما ينبغى ألا يتوقف الوالدين عن الدعاء لله تعالى بأن يهبهم ذرية صالحة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى عدة مواضع منها: ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وفى موضع آخر: قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]، ولعل هذا الأمر ضرورى؛ لأنَّ الشيطان أقسم قائلًا: ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٢].

- أما فى مرحلة الصغر من الطفولة المبكرة أى منذ الولادة حتى عمر سنتين مثلًا، ينبغى أن تحرص الأم على تعليم ابنتها الحياء؛ لأنه أساس الحجاب، ولأنه - كما قال صلى الله عليه وسلم: «الحياء خيرٌ كله» وكما قال: «الحياء لا يأتى إلا بخير»، فلا تغيِّر الأم حفاضات طفلتها أمام أحد، أما حين يبدأ تدريبها على ضبط الإخراج فتعلمها -بلطف ومزاح- أن تغطى عوراتها؛ وأن لا تخلع ثيابها أمام أحد، ولا تظن

الأم أنّها صغيرة، فالطفل يعى ويدرك ولكنه لا يستطيع التعبير، وكلما بدأت معها الأم مبكرة بهذا الأمر كان أفضل.

بعد ذلك يأتى دور القدوة فى المراحل العمرية التالية، حيث يكون الطفل متلهفًا لاستكشاف العالم من حوله، فحين ترى الطفلة أمها تجرى إلى غرفتها لارتداء حجابها؛ لأنّ شخصًا من غير المحارم جاء فجأة لزيارتهم، وحين تلحظها لا تطل من النافذة أو تفتح باب السكن إلا بعد ارتداء الحجاب، وحين تتأملها وهى تربط حجابها بإحكام وإتقان -وهى تستعد للخروج- خوفًا من أن يظهر منها شىء، وحين تعلم أن أمها لا تتعطر إلا فى بيتها، وأمام المحارم فقط؛ وتستأذن قبل الدخول حتى على أولادها؛ فإن ذلك يكون أمرًا طبيعيًّا بالنسبة للطفلة، مما ييسر عليها الاستجابة حين توجهها الأم لذلك فيما بعد.

- **ومن ثلاث إلى خمس سنوات**: فى هذا العمر يكون تقليد الكبار من الأمور المفضلة لدى الطفل، لذا فإنَّ عمل طرحة صغيرة مزركشة بلون تفضِّله الطفلة وتختاره بنفسها؛ لترتديها حين تصحب والدتها إلى المسجد للصلاة أو حضور درس، أو حين تريد تقليد أمها فتصلى معها أو بمفردها، يكون بمثابة تمهيد لحب ارتدائه فيما بعد؛كما أن هذا يعين الابنة أن تصبح عونًا لأمها، فإذا رأت بعضًا من شعر الأم يظهر دون أن تدرى سارعت بتنبيهها، وإن جاءهم شخص من غير المحارم فجأة؛ سارعت بإخبار أمها لكى تستتر، أو أحضرت إليها ملابس الصلاة، وهكذا. وفى هذا العمر يجب أن تعلم أن لها خصوصيات، فلا تقضى حاجتها إلا بعد إغلاق دورة المياه بإحكام؛ ولا تغير ملابسها إلا فى مكان مغلق.

وينبغى أن تعرف أن بعض الناس لا يفعلون ذلك؛ لأن أحدًا لم يخبرهم أو لأنّهم ليسوا مهذبين مثلنا؛ فإذا رأت أحدًا يكشف عورته، فيجب أن تغض بصرها على الفور.

كما نعلمها حدود التعامل مع الغلمان والرجال من الجيران والأقارب، وحتى والدها وإخوتها؛ فتسود علاقتها بهم الود الاحترام، دون تبسط فى التعامل.

وفى هذا العمر يمكن أن نحفّظُها ما تيسر من القرآن الكريم؛ مما يلين قلبها ويهيئ روحها لطاعة الله تعالى، مع الشرح الوافى للآيات الكريمة على قدر مستوى فهم الطفلة. ومن المفيد أن توالى حفظ القرآن فى دار تجمعها بصحبة صالحة من الفتيات المقبلات على طاعة الله، وتحفُّها بالعديد من المعلمات اللاتى يمثِّلن القدوة الصالحة لها بالإضافة إلى الأم؛ مع ضرورة متابعة الأم لما تتلقاه الطفلة فى هذه الدار لتتأكد من توجههم، هذا بالإضافة إلى تحفيظها ما تيسر من الحديث النبوى الصحيح ليكون ذخرًا لها فى حياتها المقبلة، بالإضافة إلى القرآن الكريم.

- **ومن ست إلى ثمانى سنوات:** فى هذه المرحلة - مع استمرار حفظ وفهم القرآن- نستكمل تعليمها الحياء؛ فنعلمها الاستئذان قبل الدخول على الوالدين - كما جاء فى سورة النور- وقبل دخول أى مكان حتى ولو على إخوتها.

وأن يكون صوتها خفيضًا -خاصة أمام غير المحارم- فلا ترفعه بالضحك أو حتى عند الغضب؛ وألا تمشى وسط الطريق؛ وإنما عن يمينه أو يساره، وأن تتعلم حدود عورتها أمام غير المحارم، وأمام نساء المسلمين، والنساء من غير المسلمين.

ولعل بعض الأمهات يخطئن بشراء الملابس الخليعة لبناتهن - ومنها لباس البحر المبالغ فى تبرجه- بحجة أنّهن لا يزلن صغيرات، ولكن المشكلة أن فى ذلك تشبُّه بالكافرات، كما أنَّ الحياء لا يتجزأ ولا يرتبط بمكان؛ بالإضافة إلى أنَّ البنات يتعودن على مثل هذه الثياب، حتى يُفاجأنَّ بأمرهن بالحجاب عند سن التكليف، فتكون أشبه بالصدمة بالنسبة لهن، لذا يجب التدرج فى تعليمهن الحجاب بشراء الملابس المعتدلة ليكون الحجاب سهلًا فيما بعد إن شاء الله.

- **ومن تسع سنوات إلى أحد عشر عامًا:** فى هذه المرحلة يرقى فكر الطفلة وتتنوع خبراتها، وتتسع مداركها، وتنمو قدراتها على التأمل والتخيل، وتتحول إلى طاقة إيمانية مستعدة لتقبل أوامر ربها، وتنفيذها أكثر من أى مرحلة أخرى فى حياتها الماضية والمستقبلة، فتتجه بتفكيرها نحو الخالق، مدركة جوانب التنزيه والوحدانية، والقدرة لديه ومتقبلة لهذه الصفات تقبلًا نفسيًّا تشعر معه بالراحة والرضا، وتصبح قادرة على تصور العظمة الإلهية؛ فإذا وُجِّهت الطفلة الوجهة السليمة نحو الإيمان

والخير، اندفعت إليهما فى تعلُّق وشوق، لذا فإنَّ دور الوالدين فى هذه الفترة أن يستغلا هذا التطور الإيمانى فى نفسها، وأن يعملا على تقوية عقيدتها بالله التى سترى فيها خير عون لها على تقبُّل ما تتعرض له من آلام الواقع، وصراعات الحياة، والتى سوف تمسح عنها الكثير من صنوف الحرمان والوهم والخوف، وتعمل على تقوية شخصيتها واستعدادها لتكون عونًا لغيرها، وذلك من خلال التركيز على جوانب العقيدة المؤثرة فى روحها.

ولعل من أخطاء الأمهات فى تربية البنات ألا ترى الأم فى ابنتها سوى عروس المستقبل، وتظل تحلم بيوم زفافها، وتتحدث أمامها عن ذلك، بل وأحيانًا حين تطلب البنت شيئًا يكون الرد: (عندما تتزوجين)!!! فيصبح هذا الموضوع هو الشغل الشاغل للبنت، فتعمد إلى المبالغة فى إظهار زينتها سعيًا لتحقيق حلم الأم الذى أصبح -مع مرور الوقت وإلحاح الأم- حلمها؛ ولعل الحل لهذه المشكلة هو الامتثال لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ» (رواه ابن ماجه)، فالعلم الشرعى والعلم الدنيوى مفروض علينا لكى نكون مسلمين أقوياء؛ ولعل الوقت المناسب له هو الطفولة المبكرة، كما يجب أن تعرف البنت أن قيمتها الحقيقية فى عقلها وأدبها وحيائها، فهذه الأشياء تنمو مع الزمن، بينما يتناقص الجمال الحسى مع الزمن، حتى يزول.

- ومن المهم فى هذه المرحلة أن نحكى لهن عن نماذج للعفيفات من السلف الصالح، مثل:

- عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها.
- فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.
- الفتاة التى سقى لها ولأختها موسى عليه السلام.
- مريم ابنة عمران التى قال عنها القرآن الكريم أنها: ﴿ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [التحريم: ١٢]، وغيرهن كثيرات مما جاء فى القرآن والسنة وكتب التاريخ.